

دُبُورَةٌ مِّنْ قَادَتٍ لِلنَّصْرِ

(Arabic - Deborah: The leader to victory)

أحبائي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: دُبُورَةَ مِّنْ قَادَتٍ لِلنَّصْرِ

وَمِنْ سَفَرِ الْقِصَّةِ الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ نَقْرًا الْعَدَدَيْنِ الثَّامِنِ وَالتَّاسِعِ:

"فَقَالَ بَارَاقٌ لِدُبُورَةَ: إِنَّ ذَهَبْتِ مَعِيَ أَذْهَبُ. وَإِنْ لَمْ تَذْهَبِي مَعِيَ فَلَا أَذْهَبُ.. فَقَالَتْ دُبُورَةُ: ابْنِي أَذْهَبُ مَعَكَ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لَكَ فَخْرٌ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي أَنْتِ سَائِرٌ فِيهَا. لِأَنَّ الرَّبَّ يَبِيعُ سَيْسِرًا بِيَدِ امْرَأَةٍ!. فَقَامَتِ دُبُورَةُ وَذَهَبَتْ مَعَ بَارَاقٍ إِلَى قَادِشٍ".^١

لَقَدْ أَقَامَ الرَّبُّ مُوسَى نَبِيًّا وَقَائِدًا لَشَعْبِ اللَّهِ وَاسْتَدْرَمَهُ اللَّهُ لِتَحْرِيرِهِمْ مِنْ عُبُودِيَّةِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ فِي مِصْرَ لِيُقِيمُوا فِي أَرْضِ تَقِيصُ لُبْنَا وَعَسَلًا.. ثُمَّ أَقَامَ الرَّبُّ مِنْ بَعْدِهِ يَشُوعَ بَنَ نُونٍ لِيُكْمِلَ الْمَسِيرَةَ الَّتِي بَدَأَهَا مُوسَى النَّبِيُّ.. وَوَعَدَهُ الرَّبُّ قَائِلًا: "كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ لَا أَهْمُكَ وَلَا أَتْرُكَكَ. إِنَّمَا كُنْ مُنْتَشِدًا وَتَسْجَعُ جَدًّا لِكَيْ تَحْفَظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا مُوسَى عَبْدِي. لَا تَمَلْ عَنْهَا يَمِينًا وَلَا شِمَالًا. لِكَيْ تَفْلِحَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ. لَا يَبْرُحُ سِفْرُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلًا". وَأَطَاعَ يَشُوعُ وَصَايَا اللَّهِ.. وَيُسَجَّلُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ: "وَعَبَدَ إِسْرَائِيلُ الرَّبَّ كُلَّ أَيَّامِ يَشُوعَ وَكُلَّ أَيَّامِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ طَالَتْ أَيَّامُهُمْ بَعْدَ يَشُوعَ. وَمَاتَ يَشُوعُ بَنُ نُونٍ عَبْدُ الرَّبِّ ابْنِ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ سِنِينَ. وَكُلَّ ذَلِكَ الْحَيْلِ انْضَمَّ إِلَى آبَائِهِ. وَقَامَ بَعْدَهُمْ حَيْلٌ آخَرٌ لَمْ يَعْرِفِ الرَّبَّ!. وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ!. وَتَرَكَوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةِ آخَرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَظَوْا الرَّبَّ". فَحَمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْأَمَمِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُمْ الَّذِينَ تَرَكَهُمُ الرَّبُّ لِيَمْتَحِنَ بِهِمْ إِسْرَائِيلَ".^٢

وَلَكِنَّ الرَّبَّ تَعَامَلَ بِرَحْمَتِهِ مَعَهُمْ فَأَقَامَ لَهُمْ قِضَاةَ خَلْصِهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ. وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقِضَاةِ. وَخَلَصَ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ أَعْدَائِهِمْ كُلِّ أَيَّامِ الْقِضَاةِ. وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ سِفْرَ الْقِضَاةِ تَكَرَّرَتْ تِلْكَ الْعِبَارَةُ: "وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْملُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ". فِي الْأَصْحَاحَاتِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَالْعَاشِرِ وَالثَّلَاثِ عَشَرَ.. فَلَقَدْ عَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالْعَشْتَارُوثَ وَآلِهَةَ أَرَامَ وَآلِهَةَ صِيدُونَ وَآلِهَةَ مَوَابَ وَآلِهَةَ بَنِي عَمُونَ وَآلِهَةَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ وَتَرَكَوا الرَّبَّ وَلَمْ يَعْبُدُوهُ.. وَحَدَّثَ أَنْ أَدَلَ مَلِكُ كَنْعَانَ وَرئيسَ جَيْشِهِ سَيْسِرًا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِشِدَّةٍ عِشْرِينَ سَنَةً. فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ كَيْ يُقَدِّمَهُمْ. وَكَانَتْ دُبُورَةُ زَوْجَةً لِرَجُلٍ يُدْعَى فِيدُوتَ هِيَ قَاضِيَةٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِإِسْرَائِيلَ وَنَبِيَّةٌ فِي فَمِهَا كَلَامُ اللَّهِ.. وَحَسَبَ كَلَامِ الرَّبِّ لِدُبُورَةَ أَنَّ الرَّبَّ مُرْمِعٌ أَنْ يَدْفَعَ سَيْسِرًا بِيَدِ بَارَاقٍ.. فَأُرْسِلَتْ وَدَعَتْ بَارَاقَ مِنْ قَادِشٍ وَقَالَتْ لَهُ: "أَلَمْ يَأْمُرُ الرَّبُّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ؟. أَذْهَبُ وَأَزْحَفُ إِلَى جَبَلِ تَابُورَ وَخُذْ مَعَكَ عَشْرَةَ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي نَفْتَالِي وَمِنْ بَنِي زَبُولُونَ. فَأَجْذِبِ إِلَيْكَ إِلَى نَهْرِ قَيْشُونَ سَيْسِرًا رَئِيسَ جَيْشِ يَابِينِ بِمَرْكَبَاتِهِ وَجُمْهُورِهِ وَأدْفَعَهُ لِيَدِكَ". فَقَالَ بَارَاقُ: "إِنَّ ذَهَبْتِ مَعِيَ أَذْهَبُ. وَإِنْ لَمْ تَذْهَبِي مَعِيَ فَلَا أَذْهَبُ". فَقَالَتْ لَهُ: "ابْنِي أَذْهَبُ مَعَكَ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لَكَ فَخْرٌ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي أَنْتِ سَائِرٌ فِيهَا. لِأَنَّ الرَّبَّ يَبِيعُ سَيْسِرًا بِيَدِ امْرَأَةٍ!. فَقَامَتِ دُبُورَةُ وَذَهَبَتْ مَعَ بَارَاقٍ إِلَى قَادِشٍ".^٣

حِينَ أَخْبَرُوا سَيْسِرًا أَنَّ بَارَاقَ قَدْ صَعَدَ إِلَى جَبَلِ تَابُورَ. دَعَا سَيْسِرًا جَمِيعَ مَرْكَبَاتِهِ تِسْعَ مِائَةٍ مَرْكَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ وَجَمِيعِ الشُّعْبِ الَّتِي مَعَهُ. فَقَالَتْ دُبُورَةُ لِبَارَاقَ: "قُمْ!. لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي دَفَعَ فِيهِ الرَّبُّ سَيْسِرًا بِيَدِكَ. أَلَمْ يَجْرُجِ الرَّبُّ قَدَامَكَ. فَانْزِلْ بَارَاقَ مِنْ جَبَلِ تَابُورَ وَوَرَاءَهُ عَشْرَةَ أَلْفِ رَجُلٍ. فَازْعَجِ الرَّبَّ سَيْسِرًا وَكُلَّ الْمَرْكَبَاتِ وَكُلَّ الْجَيْشِ بِحَدِّ السَيْفِ أَمَامَ بَارَاقَ. "وَنَزَلَ سَيْسِرًا عَنْ مَرْكَبَتِهِ وَوَلَّى هَارِبًا. وَعَلَى يَدِ امْرَأَةٍ تَدْعَى يَاعِيلَ إِذْ كَانَ

استمع إلى الإنجيل

سفر القضاة ٣: ١ - ١٤

١ سفر القضاة ٤: ٨ - ٩

٢ سفر يشوع ١: ٥ - ٩ & ٢٤: ٢٩ - ٣١

٣ سفر القضاة ١٠: ٦ - ١٦

سِيسْرًا قَدْ دَخَلَ خَيْمَتَهَا لِيَحْتَمِي، فَضْرِبَتْ وَتَدَّ الْخَيْمَةَ فِي صُدْعِهِ وَهُوَ مُتَثَقِّلٌ فِي النَّوْمِ فَمَاتَ". لقد انتصر شعبُ الله على أعدائهم الذين أذلّوهم عشرين سنة.. وفي نظم شعريّ بديع قالت دُبُورَةُ كَلِمَاتِهَا الشَّهِيرَةَ: "أنا أنا للربِّ أتركم. دُوسِي يَا نَفْسِي بَعزٌ"١.. وبالتأمل فيما سجّله الوحيّ عن دُبُورَةَ نَسْتَخْلِصُ لِفَائِدَتِنَا ثَلَاثَ حَقَائِقَ:

أولاً: أن الربَّ يَخْتَارُ لِلْعَمَلِ فِي كَرَمِهِ ذَوِي الْقُلُوبِ الَّتِي حَسَبَ قَلْبِهِ.. لم يكن اختيارُ الربِّ لدُبُورَةَ وهي امرأة راجعٌ لعدم وجود الرجل الكفء لهذه المهمة.. ففي العهد القديم وفي وقتنا الحاضر أيضاً يبحثُ الربُّ عن القلب الكامل الذي حسب قلبه.. ولقد جاء بسفر أعمال الرسل الأصحاح الثالث عشر عن داود النبي: "وأقام الله لهم داود ملكاً الذي شهد له أيضاً إذ قال: وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَى رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي". وفي سفر أخبار الأيام الثاني يسجلُ الوحيّ هذه الكلمات: "لأنَّ عَيْنِي الرَّبِّ تَجُولَانِ فِي كُلِّ الْأَرْضِ لِيَتَشَدَّدَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَامِلَةٌ نَحْوَهُ". وبولس الرسول في رسالته إلى مؤمنى غلاطية الأصحاح الثالث يقول: "ليس ذكرٌ وأنا لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع". وكلّ الذين يتجهون بقلب كامل إلى الربِّ هم الأنبياء المختارة النافعة لخدمته السيد وبهم يستطيع الربُّ أن يصنع العجايب. لسنا مطالبين أن نصلح من ذواتنا حتى نكون أهلاً للعمل في كرمه. فمتى أدركنا ضعفنا واعترفنا بنقصنا حينئذ نكون صالحين ليعمل الله فينا بقوته. فالربُّ يعمل فينا وبنا رغم ضعفنا.٢

ثانياً: استخدمَ الربُّ دُبُورَةَ وهي الإناءُ النِّسَائِي الأضعفُ بطبيعتها لإنجاز عملٍ فوق إمكاناتها.. لقد عانى شعبُ الله من إذلال ملك كنعان لهم عشرين سنة. وأقام الربُّ دُبُورَةَ لخلّاص شعبه حين صرّخوا إليه تائبين وجعل منها قائدةً لنصرهم. كان الشعبُ يؤمن بأن دُبُورَةَ كانت نبيّة وكلامُ الله في فمها. لقد أسلمت دُبُورَةَ كيانتها الضعيف للربِّ فوهبها الربُّ حكمةً علويةً ولمس الناس تلك الحكمة في كلّ ما تفعل وفي كلّ ما تقول. وثقوا فيها لأنّها أمنت ووثقت كاملاً في القدير. واستمعوا إليها كنبية تتكلم بكلام الله فأقبلوا عليها يعرضون قضاياهم لتفصيل فيها. لأنّه من الطبيعي أن لا يقبل الناس عرض مشاكلهم وقضاياهم إلا لمن كان جديراً بقتهم. وبكل تأكيد حازت دُبُورَةَ كلّ الثقة والاحترام والتقدير. فجاجوا إليها يلتمسون حكمتها وأحكامها العادلة المنصفة.٣

ثالثاً: إن الربَّ يُعِدُّ لِكُلِّ جِيلٍ الشَّخْصَ الْمُنَاسِبَ لِيَضَعَهُ فِي الْمَرْكَزِ الْمُنَاسِبِ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ.. وهذا ما ينطبق على إعداد الربِّ لدُبُورَةَ. لقد مضى من السنوات عشرين حتى جاء الوقت المناسب. فكان كلامُ الله لدُبُورَةَ أن تستدعي بَراَقَ ليرأس جيشاً من عشرة آلاف. لأن الربَّ قد وعد بأن يدفع سيسراً قائد جيش الأعداء ليد بَراَقَ. كان لسيسراً تسع مائة مركبة من حديد. أما بَراَقَ قائد جيش إسرائيل فلا يملك العدة والعتاد اللازمين للوقوف أمام سيسراً بمركباته الحديدية. كانت دُبُورَةَ تملك ما هو أقوى. لقد كانت متسلحة بعدة وعتاد الإيمان والثقة في الإله القدير ربّ الجنود. كان يلزم بَراَقَ أن تتواجد دُبُورَةَ معه ومع جنوده. ليستمدوا من إيمانها إيماناً.. ومن يقينها وتمسكها بالقدير قوةً معينة دافعة للفوز والنصر. هذه هي دُبُورَةَ التي ترنمت للربِّ قائلة: "يا ربَّ بخروجك من سَعِيرِ بَصُوعِدِكَ مِنْ صَحْرَاءِ أَدُومِ الْأَرْضِ ارْتَدَدْتَ!!".٤

لقد أعانَ الربُّ دُبُورَةَ فقادت شعبها للنصر على الأعداء الذين أذلوا شعبها عشرين عاماً. وأمثال دُبُورَةَ كثيرون وكثيرات. لقد سمعنا عن **Mother Teresa** التي وهبت قلبها ونفسها وحياتها من أجل أطفال مُسَرِّدين وعجائز معوقين ومرضى مطروحين على جوانب الطريق بلا مأوى في مدينة كلكتا بالهند. لقد ذرف ملايين البشر في الهند بل وفي العالم أجمع دموعاً سخية سخينة حزناً عليها يوم وفاتها. ويعوزني الوقت لأسرد قصصاً لقدسين وقديسات كانوا مَنَارَاتِ هَادِيَةٍ بنورها لكثيرين وكثيرات في عالم لا يبالي فيه الإنسان بأخيه الإنسان.

عزيزي القارئ.. لبيتك تشترك معي في تلك الصلاة.. أبانا السماوي: نصرُحْ إليك ملتمسين عونك فابليس خصمنا كأسد زائر يجول ملتمساً من بيتلعه هو. وأنت وحدك من يعين. ونحن بك منتصرون وبقوتك غالبون. نصلي في اسم فادينا يسوع واتقين أنك تستجيب لنا.. يا مَنْ وَعَدْتَ بِقَوْلِكَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرُجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

١ سفر القضاة ٤: ١٢ - ٢٤ & ٥: ١ - ٣١

٢ أعمال الرسل ١٣: ٢٢ ، أخبار الأيام الثاني ١٦: ٩ ، رسالة بولس إلى مؤمنى غلاطية ٣: ٢٨ ، ورسالته الثانية إلى كورنثوس ١٢: ٩

٣ رسالة يعقوب ١: ٥ - ٦

٤ رسالة بطرس الرسول الثانية ٢: ٩ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤: ٤ ، **MOTHER TERESA**